دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 36، (ملحق)، 2009

أحوال أهل الذمة في مصر في خلافة الظاهر لإعزاز دين ا الفاطمي (411-427 هـ / 1020-1036م)

محمد سالم الطراونة وسحر عبد المجيد المجالي*

ملخـص

تشتمل هذه الدراسة على التعريف بأهل الذمة، وبيان أسس التعامل معهم، وكيف شملهم الإسلام برعايته وتسامح معهم في عصوره الأولى، كما تتضمن بيان أحوالهم في خلافة الحاكم بأمر ا الفاطمي، وكيف فرض عليهم الكثير من القيود التي تحد من حرياتهم ثم تراجع عن ذلك، كما تناولت ما جرى لهم في خلافة الظاهر لإعزاز دين ا ، حيث تخلّى عن جميع القرارات والقيود التي فرضها والده الحاكم عليهم، ومنحهم الحرية التامة في العبادة والعمل والتعامل.

الكلمـات الدالـة: أهل الذمة، الحاكم بأمر ا ، الظاهر لإعزاز دين ا .

المقـدمة

تعتبر دراسة أحوال أهل الذمة في خلافة الظاهر لإعزاز دين ا الفاطمي من الأهمية بمكان، وذلك لأنها جاءت بعد فترة حافلة بالتغيرات بالنسبة لأهل الذمة، وبالتالي فقد شكلت هذه الفترة منعطفاً جديداً في التعامل معهم بعد أن فرض عليهم الخليفة الحاكم بأمر ا القيود والضوابط التي غيرت مجرى حياتهم في مصر وباقي ولايات الدولة الفاطمية.

وكان الحاكم بأمر ا قد اصدر القرارات التي تحد من حريتهم الدينية وأداء شعائرهم، وفرض عليهم ضوابط للباس والهيئة حتى يتم تمييزهم من بين السكان، كما حرمهم من كنائسهم التي كانوا يؤدون فيها شعائرهم، فهدمها واستولى على محتوياتها، وتبع ذلك تحول كثير من النصارى واليهود عن أديانهم مكرهين، أو خائفين مما قد يلحق بهم، فعاشوا في عهده ملاحقين ومراقبين.

ولما تولى الخليفة الظاهر لإعزاز دين ا وجد أن ما قام به والده من التعامل مع أهل الذمة لا يتفق مع نظرة الإسلام لهم، ولا مع معاملة المسلمين السابقين لهم أيضاً، إضافة إلى أن الأسلوب الجديد في التعامل معهم خلق جواً من التوتر وعدم الإستقرار، فأقدم على وضع حد لذلك عن طريق إلغاء كافة القيود المفروضة عليهم، وإعطائهم حرية أكبر في العقيدة والعبادة والتعامل، كما سمح لهم بإعادة بناء كنائسهم، فأعاد بذلك الاستقرار والهدوء إلى المجتمع المصري خلال عهده.

تعريف أهل الذمة

الذمة لغة في ذمم، والذم: نقيض المدح، والعرب تقول ذم يذم، أي لام يلوم والمذمة الملامة، وقضى مذمة صاحبه أي أحسن إليه لئلا يذم، والذمام والمذمة: الحق والحرمة، والذمة العهد والكفالة وجمعها ذمام، وفلان له ذمة أي حق[1]، قال الأخطل:

فلا تنشدوا من أخيكم ذمامة
ويسلم أصداء القوير كفيلها

ومن ذلك يسمى أهل العهد أهل الذمة[2]، وهم الذين يؤدون الجزية من المشركين، وكان أول من أعطى الجزية أهل نجران وهم نصارى[3].

فأهل الذمة هم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين الذي ظلوا على دينهم وعقد معهم المسلمون عهداً من النصارى واليهود والمجوس والصابئة[4]، وقد وضعت الجزية على رؤوسهم جزاء على كفرهم وتؤخذ منهم صغاراً[5] لقول ا عزوجل: (قاتلوا الذين لا يؤمنون با ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم ا ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[6].

ويشمل مفهوم أهل الذمة النصارى واليهود وهم أهل الكتاب الذين يقيمون في بلاد المسلمين، ومن عوامل

---

* قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن؛ كلية الأميرة عالية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2008/4/2، وتاريخ قبوله 2009/1/19.

معاملتهم، واختلف المسلمون في المجوس هل هم من أهل الذمة أم لا؟

ووردت إشارات كثيرة تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم عامل المجوس معاملة أهل الذمة، فأورد البلاذري رواية أسندها إلى ابن عباس قال: (كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى [7]فأسلم ودعا أهل هجر فكانوا بين راضٍ وكاره، أما العرب فاسلموا وأما المجوس واليهود فرضوا بالجزية فأخذت منهم)[8].

وتردد عمر بن الخطاب في أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر[9].

ويذكر ابن القيم الجوزية أن الفقهاء أجمعوا على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب والمجوس، وكان عمر بن الخطاب متردداً في أخذها من المجوس فتوقف عن أخذها إلى أن جاءه رجال من الصحابة وشهدوا له بموقف النبي محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك[10]، فقال له عبد الرحمن بن عوف: (أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سنوا بهم سنة أهل الكتاب)[11].

وعليه فإن المجوس ليسوا من أهل الكتاب، ولكنهم عوملوا معاملة أهل الكتاب وصاروا من أهل الذمة فأخذ المسلمون منهم الجزية على هذا الأساس، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من فعل ذلك معهم عندما أخذها من مجوس هجر[12].

وإذا عقد المسلمون العهد مع أهل الكتاب أو غيرهم من المجوس والصابئة صاروا في ذمة المسلمين واكتسبوا حق الإقامة الدائمة في دار الإسلام وحماية المسلمين لهم لقاء دفع الجزية والتزام العهد مع المسلمين[13].

والجزية هي الضريبة التي فرضها المسلمون على رؤوس أهل الذمة الذين قبلوا العيش مع المسلمين لقاء حمايتهم، فيذكر أبو يوسف أنها واجبة على جميع أهل الذمة في السواد وغيرهم من أهل الحيرة وسائر البلدان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة ما خلا نصارى بني تغلب وأهل نجران خاصة، وتجب الجزية على الرجال دون النساء والصبيان[14].

أهل الذمة في رعاية المسلمين

لقد عامل المسلمون أهل الذمة معاملة حسنة ووفروا لهم الرعاية والحماية منذ قيام الدولة الإسلامية، وكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الرفق بهم وألا يكلفوا فوق طاقاتهم وألا يظلم أحد منهم، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من ظلم معاهداً أو كلفة فوق طاقته فانا حجيجه)[15]، وفي رواية أخرى أنه قال: (ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو إنتقصه أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة)[16].

وسار خلفاء المسلمين على سيرة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم في الرفق بأهل الذمة وحسن التعامل معهم حتى بلغوا درجة كبيرة من التسامح معهم ولم يعرف عن المسلمين أنهم ضيقوا على أهل الذمة، فعاشوا بين المسلمين آمنين، وشكلوا فئة من فئات المجتمع الإسلامي بحيث حصلوا على حقوقهم كاملة غير منقوصة، ولم يجبروا على ترك دينهم أو التحول عنه، ولم يعرف التاريخ أنه ألزم أحد منهم على اعتناق الإسلام بغير رضاه[17].

وكان الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب نموذجاً رائعاً في التعامل مع أهل الذمة، فقد عوملوا في خلافته معاملة حسنة ولم يضيق على أحد منهم[18].

وأوصى الخليفة من بعده بأهل الذمة خيراً، وألا يكلفوا فوق طاقتهم[19]، فورد عنه أنه أوصى بأهل ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم)[20].

وكتب عمر بن الخطاب أماناً لأهل بيت المقدس (إيلياء) يوم فتحها المسلمون، وكان هذا الأمان للنصارى من أهلها، وعرف في التاريخ الإسلامي باسم (العهدة العمرية)، وكانت هذه العهدة نموذجاً رائعاً للتعامل مع أهل الذمة بعد ذلك، حيث تضمنت تأمينهم على أرواحهم وأموالهم وكنائسهم وسمح لهم بحرية العبادة[21]، فقد جاء فيه: (هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم... فلا تسكن كنائسهم ولا تهدم... ولا يكرهون على دينهم)[22].

وكان عمر رضي الله عنه يسأل من يفدون عليه من الأقاليم الإسلامية عن أحوال أهل الذمة في تلك الأقاليم ليتأكد أنه لم يتعرض أحد منهم لأذى[23]، وفي رحلة عمر بن الخطاب إلى بلاد الشام إبان خلافته مر بقوم من النصارى، فأمر أن يتم إعطاؤهم من أموال الصدقات وأن يجري عليهم القوت[24]، ولما سار أبو عبيدة عامر بن الجراح إلى حمص في خلافة عمر بن الخطاب لفتحها مر في طريقه على مدينة بعلبك فطلب منه أهلها الأمان والصلح، فصالحهم وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم كتاباً بذلك[25].

وسار خلفاء المسلمين على نهجه بعد ذلك، فعمر بن عبد العزيز عامل النصارى معاملة حسنة تتماشى مع قواعد الدين الإسلامي، وترك لهم حرية العبادة، وكتب إلى عمالة في

الولايات ألا يهدموا كنائسهم وبيعهم[26]، ولما شكا أهل الذمة إلى عمر بن عبد العزيز أن عددهم قل كثيراً عما كان عندما فرضت عليهم الإتاوة، فلما تحقق من ذلك خفف عنهم كمية الضريبة المفروضة عليهم[27]، فعاش أهل الذمة في دولة الإسلام الأولى آمنين على أنفسهم وأموالهم لا يعتدي أحد عليهم ولا يجبرهم على فعل شيء ولا ينتقص شيء من حقوقهم.

أهل الذمة في رعاية الفاطميين

بعد دخول الفاطميين إلى مصر كانوا بحاجة إلى من يساعدهم في تثبيت سلطانهم، ولما كانت غالبية أهل مصر من المسلمين السنة فلم يركن إليهم الفاطميون، ورغبوا في الاعتماد على جماعات أخرى، فلم يكن أمامهم غير الاعتماد على أهل الذمة من النصارى واليهود، فبدأ الاعتماد عليهم من أيام الخليفة المعز لدين الله، وأسندوا إليهم بعض المناصب العليا في الدولة الفاطمية[28]، فقد كان عدد كبير منهم من أصحاب المال والثراء، وأغلبهم من الطبقة المثقفة، التي اشتهرت بعلمها وممارستها للمهن المميزة التي تدر دخلاً كبيراً، وهذه صفة تميز بها أهل الذمة في كثير من المدن الإسلامية، فقد كانوا يعملون بالصياغة والدباغة والصيرفة[29].

وقد استغل الفاطميون هذه المميزات التي اتصف بها أهل الذمة لاستخدامهم في الادارة السياسية والمالية، واستمالوا جماعات من النصارى واليهود وقلدوهم بعض المناصب الهامة، فاختار العزيز بالله يعقوب بن كلس[30]، وهو من أهل الذمة وقلده منصب الوزارة فكان أول وزراء الدولة الفاطمية[31]، وقد حظي بمكانة مرموقة عند الخليفة العزيز بالله حتى أن العزيز قام بزيارته عندما مرض الوفاة وقال له: (وددت لو أنك تباع فأبتاعك بملكي أو تفتدى فأفديك بولدي)[32]، فلما مات صلى عليه العزيز وألحده بيده[33].

وكذلك استخدم خلفاء الدولة الفاطمية بعد ذلك كثيراً من أهل الذمة غير أن بعضهم استغل منصبه ونفوذه لأغراض كثيرة أضرت بأهل مصر فولد ذالك استياء المسلمين وقيامهم بتقديم الشكاوى ضد أهل الذمة، وظهر ذلك في وقت مبكر من استخدامهم في خلافة العزيز بالله[34]، وأورد ذلك أبو شجاع في كتابه ذيل تجارب الأمم فيشير إلى أن العزيز بالله استخدم عيسى بن نسطورس وكان نصرانياً فضبط الأمور وجمع الأموال ومال إلى النصارى وولاهم الأعمال، وعدل عن الكتاب والمتصرفين من المسلمين واستناب بالشام رجلاً من اليهود هو منشا بن إبراهيم القرار فسلك مع اليهود سبيل عيسى بن نسطورس مع النصارى فاستولى أهل هاتين الملتين على جميع الأعمال[35]، فكان هذا من العوامل التي دفعت بأهل مصر إلى تقديم الشكوى للخليفة العزيز بالله بعد أن وقع منهما الأذى البالغ للمسلمين في مصر والشام[36].

وكان الخليفة العزيز بالله كثير العطف على النصارى بسبب صلة النسب التي كانت تربطه بهم حيث تزوج من امرأة نصرانية أنجبت له ولده الحاكم بأمر الله[37] وابنته ست الملك[38]، فقام بتعيين أخويها بطريركين ملكيين فعين أحدهما في مدينة الإسكندرية والثاني في مدينة بيت المقدس بفلسطين[39] وبذلك عاش أهل الذمة في خلافة العزيز بالله في بحبوحة من العيش، ونعموا بحياة آمنة وعوملوا أحسن معاملة حتى حسدهم أهل مصر حياتهم الرغيدة التي لم ينعم بها المسلمون آنذاك.

أحوال أهل الذمة في خلافة الحاكم بأمر الله

لم تستمر حياة النعيم التي عاشها أهل الذمة بعد تولي الحاكم بأمر الله خلافة الدولة الفاطمية، فقد برزت عوامل الإنقلاب ضدهم منذ بداية حكمه، فانتهج معهم سياسة الشدة عندما بدأ عهده بقتل شخصية مرموقة من أهل الذمة هو عيسى بن نسطورس الذي عمل وزيراً لأبيه الخليفة العزيز بالله[40]، فيذكر يحيى بن سعيد الإنطاكي أن عيسى كان قد رسم في أيام نظره رسوماً جائرة في المكوس، فما أن تولى الحسن بن عمار الوساطة أيام الخليفة الحاكم بأمر الله حتى شرع في إلغاء ما فعله عيسى بن نسطورس ورد الأمور إلى ما كانت عليه، ثم قبض على عيسى وقتله في شهر صفر من سنة 387هـ / 997م[41].

ولم يكن الخليفة الحاكم بأمر الله دائم التشدد مع أهل الذمة وإنما تراوحت معاملته لهم بين الشدة والتسامح، ولكن غاب جانب التشدد حتى طغى على معاملته لهم وصار الظاهرة التي تميز سياسته تجاههم، فصدرت أوامره إلى النصارى بشد الزنار في الأوساط أو يلبسوا العمائم السود على رؤوسهم، ويركبوا مراكب الخشب ولا يركبوا مراكب الحديد، وأن يحملوا الصلبان في أعناقهم، وألا يضرب ناقوس في بلاد مصر وأن تقلع الصلبان التي على قباب الكنائس[42].

وأفرد لليهود حارة زويلة وأسكنهم بها وأمرهم ألا يخالطوا المسلمين في حاراتهم[43]، كما أمرهم أن يصبغوا أطراف عمائمهم[44].

ولما زادت نقمة الحاكم على أهل الذمة زاد تشدده معهم، فيذكر القضاعي أنه أمرهم أن يلبسوا العمائم السود والطيالس

السود وأن يحمل النصارى الصلبان في أعناقهم بطول ذراع ووزن خمسة أرطال، وأن يحمل اليهود قرامي الخشب في أعناقهم[45] على وزن صلبان النصارى، وألا يركبوا شيئاً من المراكب المحلاة وألا يستخدموا أحداً من المسلمين، ولا يركبوا لهم حماراً ولا سفينة حتى ولو بالأجرة[46]، وحرم على الناس أن يتبادلوا التجارة مع أهل الذمة بالبيع والشراء[47].

ومن إجراءاته أيضاً القيود التي فرضها عليهم عند دخول الحمامات فقد منع دخولها إلا بمئزر ولا حق من يخالف ذلك فكانت تكبس الحمامات ويشهر بكل من يقبض عليه مخالفاً لذلك[48]، وأن يحملوا عند دخول الحمام علامات تميزهن، فيحمل النصارى الصلبان في أعناقهم، وتكون الجلاجل والأجراس في أعناق اليهود[49].

وجاءت أقوى وأصعب الإجراءات ضد أهل الذمة عندما أصدر الحاكم أمره بإحراق كنائس النصارى وبيعهم والسماح للعامة بحمل ما فيها من آنية الذهب والفضة والأموال والأمتعة،[50]، وما تبع ذلك من إجراءات، وبدأ أمره بتخريب كنيسة القيامة في مدينة القدس عندما أخبره ختكين الضيف العضدي أحد قواده عما يفعله النصارى في هذه الكنيسة يوم فصحهم[51].

وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات فإن الخليفة الحاكم كان على علاقة طيبة مع بعض الشخصيات من أهل الذمة سواء من اليهود أو النصارى واستخدم كثيراً منهم لأعماله ومناصبه الرفيعة، فبعد مقتل برجوان الخادم رد الحاكم الوساطة إلى كل من قائد القواد الحسين بن جوهر والرئيس فهد بن إبراهيم النصراني[52]، وحمل لفهد هدية ثمينة، تشتمل على عشرين ألف دينار وسفط فيه حلة ودرج فيه جواهر وخواتم وطيب وأسفاط، وأرسل إليه خمسين رأساً من الخيل والبغال، غير أن أمره لم يطل كثيراً، فقد قبض عليه الحاكم وقتله سنة 393هـ/ 1002م[53].

واستعمل الحاكم في إدارته ابن عبدون النصراني، ولقبه بالقاضي وكتب له سجلاً بذلك وحمل على بغلتين[54]، كما استعمل زرعه بن عيسى بن نسطورس الذي سبق أن قتل أباه، فرد إليه النظر والسفارة في محرم سنة 401هـ/ 1010م، ولقبه بلقب الشافي[55]، كما استعمل أخاه صاعد بن عيسى ولقبه بلقب الأمين الظهير شرف الملك تاج المعالي ذو الجدين، وزاده على رتبة أخيه، وقلده سيفاً، وتضمن السجل الذي أعطى له أنه أصبح قسيم الخلافة[56]، ثم خلع إخوته الثلاثة وأقروا على ما بأيديهم من الدواوين[57].

وعمل له علي بن أحمد الجرجرائي، فأمر بقطع يديه فقطعتا، ثم عاد واستعمله على ديوان النفقات[58].

وعمل بعض اهل الذمة أطباء للخليفة الحاكم، فاستخدم طبيباً ماهراً أطلق عليه اسم (الحقير النافع)[59]، وعمل في خدمته الطبيب النصراني أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس بن جريج وكان من أمهر الأطباء[60].

رجوع الحاكم بأمر ا عن التشدد مع أهل الذمة

اشتكى كثير من أهل الذمة في مصر من شدة تطبيق الإجراءات التي فرضها عليهم الحاكم بأمر ا [61]، ودفعت قسوة القرارات والإجراءات بعضهم إلى ترك ديانتهم والدخول في الإسلام، واختلف المؤرخون في أسباب تحول كثير من النصارى إلى دين الإسلام، فمن يرى أنهم أجبروا على اعتناقه، ومن يرى أنهم دخلوا فيه فراراً من إجراءات الحاكم الصارمة ضد أهل الذمة، فيذكر الإنطاكي أن اليهود والنصارى كانوا يستكرهون على الانتقال إلى شريعة الإسلام[62]، بينما يرى سبط ابن الجوزي أن كثيراً منهم أسلم خوفاً من الحاكم بأمر ا [63]، أما ساويرس بن المقفع فيقول بأن الحاكم أنفذ إلى سائر أعمال مملكته ألا يبايعوا النصارى ولا يشاورهم في موضع من المواضع فجحد جماعة منهم أديانهم لأجل هذا، وأكثر النصارى المصريين نزعوا عنهم الغيار والصليب والزنار والركب والخشب وتشبهوا بالمسلمين فلم يكشف أحد عليهم، ويظن من يراهم أنهم قد أسلموا[64].

ولما ظهر تذمر أهل الذمة ورفعوا الإلتماسات إلى الحاكم بأمر ا يشكون سوء أحوالهم والتضييق عليهم أخذ الحاكم يعيد النظر في سياسته معهم، إلا أن هذا التحول جاء في وقت متأخر من خلافة الحاكم وفي السنة التي قتل فيها أي سنة 411هـ/1020م، فقد رفع إليه الأنبا سلمون رئيس دير طور سيناء شكوى يذكر فيها تردي أحوال رهبان الدير وتوسل إليه بأن يطلق لهم الأوقاف المقبوضة من هذا الدير ليستعينوا بها على سد حاجاتهم فأجابه إلى ذلك وأعاد للدير جميع أوقافه[65].

وكانت هذه الحادثة مفتاح التحول والتغيّر في سياسة الحاكم معهم، حيث بدأ يتراجع عن الإجراءات والقرارات التي فرضها عليهم بالتدريج، ففي هذه السنة توفي ثاوفيلس بطريرك بيت المقدس، فتوسل إلى الحاكم قس من أبناء الروم العبيد اسمه نقفور ليعينه بطريركاً على بيت المقدس فأجابه إلى طلبه، وتوجه القس نقفور إلى القدس وتولى بطريركيتها[66].

ولما شعر أنباء سلمون بتقبل الحاكم لهم تجرأ مرة ثانية وطلب منه أن يأذن للنصارى بتجديد عمارة الكنائس التي

خربت أو تعرضت للدمار وبدأ استئذانه بتجديد عمارة دير القصير والسماح للرهبان أن يسكنوا فيه ويقيموا صلاتهم، فكتب له الإذن في إعادة عمارته إلى ما كان عليه قبل هدمه[67]، كما سمح بإعادته عمارة الكنائس والديارات التي تعرضت للتدمير والخراب في مصر وفي سائر ولايات الدولة الفاطمية وإعادة أوقافها إليها[68]، فقام النصارى بإعادة تعمير الكنائس وإصلاحها وعاد كثير منها إلى ما كان عليه قبل هدمها وتخريبها[69].

وتبع هذه الإجراءات قيام الحاكم بأمر الله بإطلاق حرية العبادة والشعائر الدينية[70]، فعاد كثير من النصارى إلى دينهم السابق وتركوا دين الإسلام[71]، يقول الإنطاكي إنه لما تسامح الحاكم بعمارة الكنائس ورد أوقافها لقيه جماعة من النصارى الذين أسلموا من قبل وطرحوا أنفسهم عليه وقالوا: إن الذي دخلنا فيه من التظاهر بدين الإسلام لم يكن باختيارنا ولا برغبة منا، فإما أن تسمح لنا بالعودة إلى ديننا أو تأمر بقتلنا، فأمرهم بلبس الزنار ولباس السواد وحمل الصلبان وأعطاهم أماناً بذلك فعاد خلق كثير منهم وارتدوا عن دين الإسلام إلى النصرانية[72].

أهل الذمة في خلافة الظاهر لاعزاز دين الله

تولى الظاهر لإعزاز دين الله الخلافة الفاطمية سنة 411هـ/1020م[73]، وكان أهل الذمة لا يزالون يعانون من تبعات القرارات والإجراءات الصارمة التي فرضها عليهم والده الحاكم بأمر الله، فلم ينهج نهج أبيه في التعامل معهم ولا حتى مع غيرهم، وإنما سار على نهج مغاير تماماً لنهج أبيه، ورأى أن يكسب ودّ أهل الذمة من النصارى واليهود فاستهل عهده بإلغاء كافة القرارات والأوامر التي كانت تشكل ضغطاً عليهم، واصدر بياناً أعلن فيه أن أهل الذمة أحرار في دينهم[74] وفي إقامة شعائرهم وعباداتهم.

وبهذا يكون الخليفة الظاهر قد أكد وبدأ تنفيذ ما عزم عليه والده الحاكم قبل موته، فكان قد أصدر مرسوماً في أواخر عهده أعلن فيه السماح لمن أراد العودة إلى دينه السابق ممن دخل في الإسلام من أهل الذمة[75].

وأكد الخليفة الظاهر على حرية الأديان، ورأى بأنه لا يجوز أن يستكره شخص على الانتقال إلى شريعة الإسلام[76]، ويذكر هذا الأمر الإنطاكي الذي أورد في حديثه عن الظاهر لإعزاز دين الله قوله: (وأنه انتهى إليه استشعار جماعة من أهل الذمة من النصارى واليهود أنهم يستكرهون على الانتقال إلى شريعة الإسلام وامتعاضهم من ذلك إذ كان (لا إكراه في الدين)[77]، وأن يزيلوا من أنفسهم ما تخيلوه ويتحققوا أنهم يحملون على حكم الصيانة والرعاية وينزلون منزلة أهل الحياطة والحماية، ومن آثر منهم الدخول في دين الإسلام اختياراً من قلبه وهداية من ربه، ولم يكن غرضه التعزز أو الاستطالة فليدخل فيه مقبولاً مبروراً، ومن آثر بقاءه على دينه من غير ارتداد كان عليه ذمته وحياطته، وعلى جميع أهل الملة حفظه وصيانته[78].

وقد فتح هذا الإعلان الباب لكثير من الناس الذين دخلوا في دين الإسلام ليتراجعوا عن دينهم ويرتدوا إلى الكفر، وسمح الظاهر لأهل الذمة بممارسة طقوسهم الدينية والاحتفال بالأعياد والمناسبات المختلفة حيث كان يشاركهم الاحتفال ببعض هذه الأعياد ويحضر لمشاهدة اجتماعاتهم واحتفالاتهم[79]، وأدى هذا التساهل معهم إلى ترك الالتزام بالقيود المفروضة، فخففوا لبس الغيار واقتصر كثير منهم على لبس زنار وعمامة سوداء[80].

وقد أحدثت مثل هذه الأمور قيام إشكالات وخلافات بين الناس وحوادث شغب، ففي محرم سنة 415هـ/ 1024م وثب جماعة من المسلمين بمصر على رجل نصراني يعقوبي يعرف بأبي زكريا ابن أبي غالب ممن كان تظاهر بدين الإسلام من أيام الخليفة الحاكم وأذن له بالعودة إلى النصرانية، فصاحوا عليه في الأسواق واحتجوا عليه لأنه كان في أيام إسلامه ملازماً للجامع متقدماً في الصلوات، وكتب الحديث والفقه بخطة، ولم يفعل النصارى الذي عادوا إلى دينهم كما فعل هو، فطلبوا إليه أن يعيد ما كتبه واقتناه من علومهم، فأمر الخليفة الظاهر بحبسه في الشرطة السفلى لمدى عشرة أيام والناس يحاولون إعادته إلى الإسلام ذاك أن ارتداد رجل على هذه الشاكلة يكون له تأثيره وضرره على المجتمع الإسلامي، فلما يئسوا من عودته أخبروا الخليفة الظاهر بأمره فأمر بقتله[81].

وارتدّ عن الإسلام جماعة من الذين اسلموا من بلاد الروم، فتظاهروا بالنصرانية، فأخذ منهم وممن عاد وترك الإسلام بمصر الجزية منذ السنة التي تحولوا فيها وتظاهروا بالإسلام[82].

وكان الخلفاء الفاطميون يتدخلون في اختيار وتعيين بطاركة النصارى في مصر وفي الولايات التابعة للدولة الفاطمية، كما حدث عندما قام العزيز بالله باختيار بطريركين أحدهما لمدينة القدس[83]، ويذكر ساويرس بن المقفع أن أم الحاكم بأمر الله زوجة الخليفة العزيز بأمر الله وهي جارية رومية كان لها أخٌ اسمه (أترساني) فجعلته بطريركاً للملكية[84]، وكذلك قام الخليفة الحاكم بأمر الله بإصدار

مرسوم سنة 411هـ/1020م يتضمن تولي القس نقفور بطريركية مدينة القدس[85].

أما الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله فكان له رأي مخالف في هذا الموضوع ولم يتدخل في شؤون الكنيسة الداخلية، واعتبر هذا الأمر خاصاً بالنصارى، فعندما شغر منصب بطريركية الروم الملكانية في مدينة الإسكندرية بعد وفاة أرسانيوس سنة 400هـ/ 1009م بقي المنصب شاغراً إلى سنة 411هـ/1020م، ولم يكن بقي في أبرشية الإسكندرية غير أسقفين هما: أسقف كنيسة تنيس (خرسطودولا)، وأسقف كنيسة القلزم أبو اسحاق، فكتب أهل كل واحد منهما للآخر بألا يكون بطريركاً وأن يشاركوا الجماعة في اختيار البطريرك الذي سيتولى كنيستهم، وحاول أبو اسحاق الحصول على كتاب من الحاكم بأمر الله قبل مقتله بقليل ليكون البطريرك إلا أنه لم ينجح في ذلك[86].

واجتمع أساقفة الكنيسة الملكانية بمصر واتفقوا على اختيار الأنبا جورجيوس بطريركاً لهم وهو من رهبان دير طور سيناء، وباركت ست الملك هذا الاختيار لأنها كانت صاحبة الرأي في دولة الخليفة الظاهر لإعظام دين الله، وقدمت للبطريرك هدايا من الديباج والتحف الفضية[87].

وبعد أن توفي بطريرك الكنسية القبطية (الأنبا زخاريا) حاول بعض رجال الكنيسة اعتلاء منصب البطريركية عن طريق تدخل الدولة ومساعدتها، غير أن وزير الخليفة الظاهر علي بن أحمد الجرجرائي رفض التدخل في هذا الأمر، ولم يسمح لأحد التدخل في اختيار البطريرك الجديد[88]، وعمل على تهيئة الجو لإختيار البطريرك طبقاً لتعاليم الكنسية المصرية[89]، وعرض عليهم تكريماً بأن قرر التنازل عن الأموال المفروضة عليهم لبيت المال ومقدارها ثلاثة آلاف دينار إذا تمت علمية الإنتخاب بطريقة نزيهة.

وهذا يعني أن أهل الذمة حصلوا على امتيازات وحقوق كاملة في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله، وتمتعوا بحرية الإختيار والتعبير.

وأشرك الخليفة الظاهر أهل الذمة في مناصب الدولة المختلفة في الاعمال الكتابية وفي دواوين الدولة، فعين صدقة بن يوسف الفلاحي للنظر في ديوان الكتاميين[90]، ثم أشرك معه في هذا الديوان صاعد بن مسعود عامل الصعيد الأعلى[91]، وجعل داؤود اليهودي زماماً على هذا الديوان[92]، واستعمل محمد بن أحمد الجرجرائي على ديوان الشام[93]، والشيخ العميد محسن بن بدواس زماماً عليه في هذا الديوان[94]، واستعمل نجيب الدولة علي بن نسطورس على ديوان الأحباس، ثم صرفه في شوال سنة 415هـ/1024م، واستعمل أبا غالب النصراني الكاتب في ديوان الخراج[95].

واستعمل علي بن أحمد الجرجرائي، فقد ولاه الخليفة الظاهر على ديوان الخراج، ثم خلع عليه الوزارة في سنة 418هـ/ 1027م[96].

وكما سمح الخليفة الظاهر للناس بحرية الأديان فإنه أباح لهم إعادة بناء كنائسهم وإصلاح ما تعرض للدمار والخراب منها وتزيينها بالفرش والأثاث الذي يريدونه، وقام هو بتجديد بناء كنيسة القيامة في مدينة القدس، وكانت قد تعرضت للتدمير في خلافة الحاكم بأمرا ، وسمح بإعادة الأوقاف التابعة لها[97]، فحمل لها ملوك النصارى الأموال والأثاث[98]، فعادت على أحسن مما كانت عليه قبل تدميرها.

وكذلك سمح الخليفة الظاهر للنصارى واليهود الإحتفال بأعيادهم ومناسباتهم المختلفة، فعادوا للاشتراك مع المسلمين في الاحتفالات ودخول الحمام، ففي رجب سنة 414هـ/1032م، وفي عيد الفصح[99]، اجتمع النصارى والمسلمون بقنطرة المقس وأقاموا احتفالاً كبيراً طيلة اليوم يأكلون ويشربون ويلعبون ويغرقون في اللهو[100].

وأقام النصارى احتفالهم بكنيسة المقس، ويذكر المسبحي أنه في هذا العيد رأى الخليفة الظاهر رجلاً يقال له ابن الداية[101] وهو يجرد سكيناً كانت معه على رجل من الرعية لسكره وعربدته، فأمر بضربه ثلاثين عصا فضرب، كما لوحظ في هذا الاحتفال سكر النساء وتهتكهن وأن كثيراً منهن كانت تُحمل قفاف الحمالين وهن سكارى[102]، وهذا الأمر ضايق الخليفة الظاهر مما جعله يصب غضبه على النساء خاصة الجواري منهن فعاد وتشدد في التعامل مع النساء، وعاقب بعض النساء لارتكابهن الكثير من المخالفات.

وتعود النصارى الاحتفال بعيد الغاطس يشاركهم في ذلك المسلمون لكن المعز لدين الله أبطل هذا الاحتفال، ثم أذن لهم الظاهر الاحتفال بهذا اليوم[103]، وكان غطاس النصارى يعمل ليلة 11 طوبة من الأشهر القبطية، حيث يجتمع المسلمون والنصارى عند شاطئ النيل قبالة المقياس، فتنصب الخيام على جانبي النيل وتوضح فيها الأسرة لأعيان القبط وكان النيل يمتلئ بالمراكب من المسلمين والنصارى[104].

وإذا دخل الليل أوقد الناس الشموع في المراكب وعلى الشطوط حيث يوقد أكثر من ألف مشعل والف فانوس وتتجاهر الناس بشرب الخمور والغناء والموسيقى، ويهادى رؤساء الاقباط بأطباق القصب والبوري والحلوى القاهرية والكمثري والتفاح والسفرجل والنارنج والليمون وباقات الورود من النرجس[105]، ثم يغطس الناس في النيل بعد

العشاء، فيذكر ابن المأمون أنه كان من عادة الدولة في هذا العيد أن تفرق الأطعمة على سائر أهل الدولة من الترنج والنارنج والليمون والمراكبي وأطنان القصب والسمك البوري برسوم مقررة لكل واحد من أرباب السيوف والأقلام[106].

وفي سنة 415هـ/1024م كانت ليلة الغطاس تصادف يوم الثلاثاء على صباح الأربعاء الواقع في 4 ذي العقدة[107]، وجرى الناس على رسومهم في شراء الفواكه والحملان والضأن ونزل الخليفة الظاهر لإعزاز دين ا إلى قصر جده العزيز با لنظر الغطاس ومعه الحرم، ونودي في ذلك اليوم ألا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم إلى نهر النيل في الليل، وأقام بدر الدولة الخادم الأسود متولي الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها، ثم أمر الخليفة أن توقد المشاعل والنار في الليل فكان وقيداً كثيراً حسناً[108].

واشترك المسلمون وأهل الذمة في إقامة هذا الاحتفال، فيذكر المسبحي أن جماعة من القساوسة والشمامسة حضروا بالصلبان والنيران فقسسوا هناك طويلاً ثم انصرفوا إلى الغطس في نهر النيل[109].

وكان الخليفة الظاهر يحضر مع أهل الذمة في احتفالهم بعيد خميس العدس[110]، ويتبادل فيه المحتفلون الهدايا، وكان من عادة الفاطميين الاحتفال بهذا العيد ويضربون فيه الدنانير والخراريب[111]، فيضربون في كل عيد منه (500) خمسمائة دينار من الذهب، وعشرة الآف خروبة[112] بقصد التبرك، ويتم توزيعها على أرباب الرسوم[113]، ويذكر ابن اياس الحنفي أن الوزراء الفاطميين كانوا يقومون بضرب النقود في هذا العيد، وغالباً ما تكون من الخراريب وبوزن خمسمائة مثقال[114]، بينما يذكر ابن المأمون أنهم كانوا يضربون خمسمائة دينار عن عشرين ألف خروبة[115].

وبهذا عادت الاحتفالات التي كان يقوم بها النصارى واليهود إلى ما كانت عليه قبل منعها في أيام الخليفة المعز لدين ا والحاكم بأمر ا ، بل ومنح أهل الذمة حرية زائدة في ممارسة طقوسهم واحتفالاتهم ودون حدود.

الخاتمـة

واجه أهل الذمة في خلافة الحاكم بأمر ا بعض الصعوبات وفرضت عليهم الكثير من القيود والإجراءات، فألزموا لباساً يعرفون به، وحرم عليهم دخول حمامات المسلمين وركوب ركائبهم أو التشبه بهم، إلا أن هذه القيود أخذت بالتلاشي وبدأت تتغير بوفاة الحاكم بأمر ا الفاطمي.

ففي عهد الخليفة الظاهر أُلغيت كافة القيود المفروضة على أهل الذمة وسمح لهم بالاحتفال بأعيادهم، كما سمح لهم بأداء عباداتهم وإعادة بناء كنائسهم، وبهذا عاد أهل الذمة للمشاركة في الحياة العامة.

وهذا يعني أن أهل الذمة حصلوا على الحقوق والامتيازات كافة التي سمح لهم الإسلام بها، بل زاد الأمر على ذلك بتوليهم المناصب الرفيعة، فوصل بعضهم إلى أرقى المناصب كالوزارة ورئاسة الدواوين في خلافة الظاهر لإعزاز دين ا .

الهوامـش

(1) ابن منظور، ج6، ص43.
(2) ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص44؛ الشيخ شفيق يموت، أهل الذمة في مختلف أطوارهم وعصورهم، ص49؛ الصوا، موقف الإسلام من غير المسلمين، ص37.
(3) أبو عبيد، كتاب الأموال، ص31.
(4) انظر أبو يوسف، كتاب الخراج، ص122؛ الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص183؛ ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، الطبعة الأولى، ص11، 14؛ قطب، النظم المالية في الإسلام، الطبعة الثالثة، ص101.
(5) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص181.
(6) سورة التوبة، الآية 29.
(7) المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين، وقد بعث له رسول ا صلى ا عليه وسلم العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة يدعوه إلى الإسلام فأسلم (انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج5، ص270، ج6، ص15؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص146).
(8) البلاذري، فتوح البلدان، ص91.
(9) البخاري، صحيح البخاري، ص605؛ أبو عبيد، الأموال، ص38.
(10) ابن قيم الجوزية، أهل الذمة، ج1، ص1.
(11) المصدر نفسه، ج1، ص2.
(12) ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج1، ص2؛ أبو هلالة، تعامل المسلمين مع غيرهم في مجتمع الدعوة، ص24.
(13) ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج1، ص22؛ الغنيمي، قانون السلام في الإسلام، ص407؛ المطردي، عقد الذمة في التشريع الإسلامي، ص25-26؛ وانظر عبد المقصود،

الموارد المالية في الدولة الإسلامية، ص253.

(14) أبو يوسف، الخراج، ص122؛ أبو عبيد، الأموال، ص38-39؛ وانظر عامر، تاريخ أهل الذمة فلي مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج2، ص11.

(15) أبو يوسف، الخراج، ص125.

(16) المصدر نفسه، ص125.

(17) محمد المطردي، عقد الذمة، ص17.

(18) أبو يوسف، الخراج، ص126؛ أبو عبيد، الأموال، ص46.

(19) أبو يوسف، الخراج، ص125؛ الجرف، النظام المالي الإسلامي، ص184.

(20) البخاري، الصحيح، ص606.

(21) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص609؛ العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص377-378.

(22) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص609.

(23) أبو هلالة، تعامل المسلمين، ص95.

(24) البلاذري، فتوح البلدان، ص135.

(25) المصدر نفسه، ص136.

(26) الطبري، الرسل والملوك، ج6، ص572؛ عاقل، تاريخ خلافة بين أمية، ص293.

(27) البلاذري، فتوح البلدان، ص78-79؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص294-295.

(28) سرور، الدولة الفاطمية في مصر، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، ص86.

(29) انظر المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص182.

(30) هو ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن كلس كان يهودياً من أهل العراق، سافر مع أبيه إلى الشام ثم إلى مصر وصحب كافور الإخشيدي حيث أسلم وحسن إسلامه، وكان يحب أهل العلم ويجتمع عنده العلماء، وترقت أحواله حتى تولى الوزارة للخليفة الفاطمي العزيز با سنة 368هـ/978م، فكان أول وزراء الدولة الفاطمية (انظر ابن منجب، الإشارة إلى من نال الوزارة، الطبعة الأولى، ص47-49؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج7، ص27-35).

(31) ابن منجب، الإشارة إلى من نال الوزارة؛ القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار/ السبع السادس المعروف بأخبار الدولة الفاطمية، الطبعة الثانية، ص231؛ تامر، العزيز با ، ص51؛ شافعي، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي، ص214-215.

(32) ابن منجب، الإشارة إلى من نال الوزارة.

(33) ابن منجب ، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص52؛ ابن القالنسي، حتاريخ دمشق، ص56؛ وانظر المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمية الخلفاء، ج1، ص268-269.

(34) ابن الأثر، الكامل في التاريخ، ص176؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (حوادث ووفيات 381-400هـ)، ص130.

(35) أبو شجاع، ذيل كتاب تجارب الأمم، ص185-186.

(36) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1 قسم 1، ص196.

(37) ساويرس، ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ج2، ص95؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج4، ص70؛ القرشي، عيون الأخبار، السبع السادس، ص248 /الهامش.

(38) المقريزي، المواعظ، ج4، ص70.

(39) ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ج2، ص84؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص202؛ شافعي، أهل الذمة، ص214.

(40) ابن الأثير، الكامل فلي التاريخ، ج7، ص146.

(41) الإنطاكي، تاريخ الإنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، ص238؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص77؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص8.

(42) ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ج2، ص105.

(43) ابن إياس، بدائع الزهور، ج1 قسم1، ص198.

(44) ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ج2، ص105.

(45) ذكر ابن العبري أن الحاكم بأمر ا أمر اليهود أن يعلقوا في أعناقهم شكل رأس العجل الذي صنعه آباؤهم في البرية وسجدوا له (انظر ابن العبري، تاريخ الزمان، ص76؛ وانظر ابن سعيد، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص52.

(46) القضاعي، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائق، ص274؛ شفيق يموت، أهل الذمة، ص89.

(47) ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ج2، ص76.

(48) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص76.

(49) القضاعي، عيون المعارف، ص274؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص100.

(50) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص240؛ ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة، ج2، ص108؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص75؛ العليمي، الأنس الجليل، ج1، ص442.

(51) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص74-75.

(52) الإنطاكي، تاريخ، ص249.

(53) ابن منجب، الإشارة، ص58؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص44.

(54) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص81.

(55) ابن منجب ، الإشارة، ص59.

(56) المصدر نفسه، ص64.

(57) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص93.

(58) ابن منجب، الإشارة، ص68؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا،

ج2، ص101.

(59) القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القاهرة، ص122-123؛ عامر، تاريخ أهل الذمة، ص252.

(60) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص141.

(61) ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ج2، ص106.

(62) الإنطاكي، تاريخ الإنطاكي، ص366.

(63) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص311.

(64) ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ج2، ص108.

(65) الإنطاكي، تاريخ الإنطاكي، ص353.

(66) المصدر نفسه، ص353، 356.

(67) المصدر نفسه، ص354.

(68) الإنطاكي، تاريخ الإنطاكي، ص357؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص311.

(69) ابن ظافر الازدي، أخبار الدول المنقطعة، ج1، ص206-207.

(70) الإنطاكي، تاريخ، ص357؛ الأمين عوض ا ، الحياة الإجتماعية فلي العصر الفاطمي، ص74.

(71) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص311.

(72) الإنطاكي، تاريخ، ص357-358؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص311.

(73) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص128؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص306؛ النووي، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج28، ص203.

(74) الإنطاكي، تاريخ ، ص366؛ الأمين عوض ا ، الحياة الإجتماعية، ص74.

(75) القضاعي، عيون المعارف، ص275؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص311.

(76) الإنطاكي، تاريخ، ص366.

(77) سورة البقرة، الآية 256.

(78) الإنطاكي، تاريخ، ص366-367.

(79) المصدر نفسه، ص374-375.

(80) الإنطاكي، تاريخ، ص 375؛ شفيق يموت، أهل الذمة، ص91.

(81) الإنطاكي، تاريخ، ص375؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص136.

(82) الإنطاكي، تاريخ، ص376.

(83) الإنطاكي، تاريخ، ص321؛ سلام شافعي، أهل الذمة، ص214؛ عبد الكريم، المرأة في مصر، ص40.

(84) ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ج2، ص95.

(85) الإنطاكي، تاريخ، ص353؛ ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ج2، ص97.

(86) الإنطاكي، تاريخ، ص370-371.

(87) الإنطاكي، تاريخ، ص371-372؛ شافعي، أهل الذمة، ص217.

(88) ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ج2، ص127.

(89) المصدر نفسه، ج2، ص127.

(90) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص152.

(91) المسبحي، أخبار مصر، ص173؛ المقريزي، اتعاظ الحفنا، ج2، ص156.

(92) المسبحي، أخبار مصر، ص32.

(93) المسبحي، أخبار مصر، ص182؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص160.

(94) المسبحي، أخبار مصر، ص53.

(95) المصدر نفسه، ص186.

(96) ابن منجب، الإشارة، ص68-69؛ الإنطاكي، تاريخ، ص369؛ ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ج1، ص216؛ محمد المناوي، الوزارة والوزراء، ص253.

(97) الإنطاكي، تاريخ ، ص387.

(98) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص176.

(99) ويسمى هذا العيد عند النصارى بعيد القليلة (انظر المسبحي، أخبار مصر، ص39).

(100) المسبحي، أخبار مصر، ص39.

(101) يذكر المسبحي أن ابن الداية (داية أمير المؤمنين)/ انظر المسبحي، اخبار مصر، ص40.

(102) المسبحي، أخبار مصر، ص40.

(103) ابن اياس، بدائع الزهور، ج1 قسم1، ص212.

(104) المصدر نفسه، ج1 قسم 1، ص212.

(105) المصدر نفسه، ج1 قسم 1، ص 212-213.

(106) ابن المأمون، نصوص، ص63؛ المقريزي، المواعظ، ج2، ص444-445.

(107) المسبحي، أخبار مصر، ص190.

(108) المسبحي، أخبار مصر، ص 190؛ المقريزي، المواعظ، ج2، ص444.

(109) المسبحي، أخبار مصر، ص190-191؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص444.

(110) خميس العدس، يذكر القلقشندي أنهم كانوا يعملونه قبل الفصح بثلاثة أيام، حيث يحضر المحتفلون إناء يملأونه بالماء ويزموا عليه ثم يغسل البطريرك أرجل جميع النصارى الحاضرين، ويزعمون أن المسيح عليه السلام فعل هذا بتلاميذه في هذا اليوم ليعلمهم التواضع، وسمي خميس العدس لأنهم كانوا يطبخون فيه العدس (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص456؛ المقريزي، المواعظ، ج2، ص445).

(111) ابن المأمون، نصوص، ص95.

(112) الخروبة: وزن نقدي عند المسلمين كان يعادل وزن القيراط أي ما يساوي 0.195 غم (انظر فالتر هنتس، الأوزان، ص29).



(113) القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص456؛ المقريزي، المواعظ، ج2، ص445.

(114) ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، قسم1، ص213.

(115) ابن المأمون، نصوص، 95.

المصادر والمراجع

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، مراجعة رضوان محمد، 1967، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

ترتون، 1، س، أهل الذمة في الاسلام، ترجمة حسن حبشي، 1967، ط2، القاهرة.

ساويرس، ابن القنع، د.ت، تاريخ البطاركة، ج2، النعام للطباعة والتوريدات.

سرور، محمد جمال الدين، 1979، الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة.

الصوا، علي، 1994، موقف الاسلام من غير المسلمين، مؤسسة آل البيت، عمان.

الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط3، دار المعارف، القاهرة.

عامر، فاطمة مصطفى، 2000، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن قيم الجوزية، محمد بن ابي بكر، أحكام أهل الذمة، تحقيق ايمن عارف، 2001، ط1، دار الجيل، بيروت.

قطب، 1986، النظم المالية في الاسلام، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

محمود، سلام شافعي، 1995، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب.ابو عبيد، القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق محمد هراس، 1981، دار الفكر، القاهرة.

المطردي، محمد عبد الهادي، 1987، عقد الذمة في التشريع الاسلامي، الدار الجماهرية للنشر، طرابلس.

ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، 2000، بيروت، ج6.

ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت.

The Statues of Non Muslim’s during Khelafat Al-Dahir Li'izaz Deen Allah Al-Fatimi (411-427A.H./ 1020- 1036 A.D)

Mohammad S. Al-Tarawneh and Sahar A. AL-Majali*

ABSTRACT

The aim of this e study is to identify covenants and non Muslims and to shed light on the principles of their treatment. It shows how Islam includes them within its care and indulgence during its first decades. It also includes their conditions during Khelafat "Al-Hakim Bi'Amer Allah Al-Fatimi and how he imposed some rules which restricted their freedom, but he cancelled it later on.

The study also handles what happened to them during "Khelafat Al-Dahir Li'izaz Deen Allah Al-Fatimi" in which he abandoned all the rules and regulations which where imposed by his father and gave them unlimited freedom in religion and in all aspects of life.

Keywords: Al-Hakim Bi’amr Allah, Al-Dahir Li’izaz Deen Allah.

---

*Department of History, Faculty of Social Siences, Mu’ta University, Al-Karak, Jordan; Prince Alia College, Al-Balqa Applied University, Jordan

Received on 2/4/2008 and Accepted for Publication on 19/1/2009.